محاضرة 13: الأطراف الريفية – الحضرية Parties rural - urban

كان سميث L.Smith أول من أطلق مصطلح الأطراف الريفية– الحضرية عام 1937عندما كان يدرس الأطراف الحضرية لمدينة لويزيانا Louisiana، وقصد بها الأراضي المبنية الواقعة خارج الحدود المرسومة للمدينة(58).

وأشار هارس على ضرورة اهتمام الدراسات الحضرية بالمناطق المحيطة بالمدينة عام 1943 واثر بعض العوامل في نموها وامتدادها كالأنهار والخلجان والحدود الإدارية للمدينة وصفتها الوظيفية وتأثير حجم المدينة في ذلك(59).

ويشوب منطقة الأطراف الحضرية بعض الالتباس فيما تعنيه نظرا للتشعب الكبير في المصطلح فيطلق عليه مصطلح **الأطراف الحضرية** Urban fringe ويقصد به المنطقة الهامشية الواقعة عند أطراف المدينة ،ويعد نطاقا مشابها للمنطقة الانتقالية المحصورة بين منطقة الأعمال المركزية واستعمالات الأرض الحضرية الأخرى. ويطلق عليه أيضا مصطلح **النطاق الانتقالي** Transitione Zone الذي يتميز بسرعة تغيره مقارنة مع المدينة المركزية في حين تعتبرها دراسات أخرى منطقة **للظل الحضري** Area of urban shadow على المناطق الريفية المجاورة(60).

وتأسيسا على ذلك يمكن تعريف منطقة الإطراف الحضرية بأنها عبارة عن امتدادات حضرية غازية لظهير قريب تمازجت فيها استعمالات الأرض بإشكال تخصصية يغلب عليها الاتساع المساحي ورخص الأرض بالمقارنة مع المدينة المركزية ،والكثافة الإنتاجية العالية ،وارتفاع سعر الأرض مقارنة مع الأراضي الزراعية المجاورة .وهي حضرية المظهر أكثر مما هي ريفية .وتحمل صفة النطاق الهامشي الذي تتدرج فيه كثافة استعمال الأرض بشكل عكسي مع المسافة ،وتزداد مساحة الوحدات القائمة والأراضي الشاغرة والمفتوحة بشكل طردي مع المسافة ،ويمارس في بعض أقسامها الزراعة الكثيفة من نمط الزراعة الحضرية.

خصائص منطقة الأطراف الريفية –الحضرية

بالنظر للتطور المستمر في أحجام المدن وزحفها نحو المناطق الريفية والتداخل في استعمالات الأرض الريفية الحضرية،أصبح مفهوم الأطراف الحضرية فيه الكثير

من الغموض والإبهام ،إلا انه بمرور الزمن أكتسب شخصية مميزة وأصبح له صفات اجتماعية وديموغرافية خاصة به،ومن هذه الصفات :

1- تقع الأطراف الحضرية خلف المنطقة المبنية المأهولة للمدينة المركزية ،وتبع امتدادها الطرق العامة والسكك الحديد والمجاري المائية.

2- تختلط فيها استعمالات الأرض وتتداخل بشكل فوضوي فهي تجمع بين السكن والتجارة والصناعة والخدمات والمستشفيات والمقابر ،فضلا عن وجود مساحات من الأراضي الخالية المكشوفة.

3-وبسبب حداثة نشأتها أو أنها في مراحل تطورها الأولى فإنها لم تكتمل وظيفياً وخدمياً وحتى أمنيا كباقي مناطق المدينة المركزية .

4-أنها في حالة زحف مستمر نحو الأراضي الزراعية ودفع مستمر من المدينة التابعة لها .

5-تتسم في حراك ديموغرافي مستمر سواء من حيث السكن أم العمل فيما بينها وبين المدينة المأهولة .

حدودها الجغرافية Geographical boundaries

تعاني منطقة الأطراف الحضرية من خلط في المفهوم نتيجة التمازج الكبير في استعمالات الأرض وفي العوامل الاجتماعية والاقتصادية السائدة فيها .فهي كنطاق حضري ضمن مركب إقليمي متغير وبالتالي فهي في موقع يمثل منطقة صراع بين ما هو غاز من جهة المدينة وآخر متراجع تحت ضغط المنافسة المفروضة من قبل الاستعمالات الجديدة .وهذه العلاقة المتصارعة تطبع المنطقة بصفة التغير المستمر لصالح التحضر.فكثير من أطراف المدن القديمة اندمجت ضمن هيكل المدينة المركزية وأصبحت جزءا منها ،فالأطراف الحضرية المشتتة في مدة زمنية معينة تتحول إلى ضاحية في مدة أخرى ،ثم ترتبط بالمدينة المركزية لتكون بالتالي جزءا حضريا موحدا .فتزداد كثافة السكان والسكن فيها وتزداد الحركة بشوارعها مما يعجل في اختفاء خصائصها الأولى ،والأمثلة كثيرة في مدننا العربية والعراقية خاصة،فإطراف بغداد القديمة في المنصور والدورة والحرية والبياع والسيدية وجميلة

والبنوك والشعب وأور ،ارتبطت بالمدينة المركزية وأصبحت جزءا منها بينما انزاحت الأطراف إلى مواقع ابعد.

أن هذا التتابع يجعل ما يصطلح عليه بالأطراف الحضرية في سنة ما لا يكون كذلك بعد عدة سنوات ،ورغم ذلك تبقى المدن محاطة بإطراف حضرية نامية تأخذ من الريف لحساب المركز الحضري .وان خصائص هذه المنطقة والعلاقة بينها وبين المدينة المركزية والريف تبقى قائمة ما دام هناك نمو في أحجام المراكز الحضرية .ولكن تختلف صيغها باختلاف الزمن وما يتبعه من اختلاف في الاستعمال الحضري ومستوى المعيشة والتغيرات التكنولوجية.

عوامل نمو منطقة الأطراف

ظهر مما سبق إن الأطراف الحضرية واقعة تحت ضغط حضري من جهة وهي في حالة زحف نحو الأرض الزراعية من جهة ثانية والضغط الحضري ذو اتجاهين: الأول سكاني والثاني مؤسساتي .يمثل العامل السكاني بميل بعض العوائل الحضرية إلى الانتقال نحو الأطراف بحثا عن بيئة صحية وهادئة وتخلصا من ازدحام المدينة وصخبها ،فضلا عن اتساع الأرض ورخصها مما يمكن الحصول عليها لمختلف الاستعمالات ،وهذا الانتقال السكاني لا يقتصر على العوائل الساكنة في المدينة ،بل يشمل الأسر الريفية أيضا ،تلك التي تبحث عن منطقة قريبة من خصائص الريف وليس باستطاعتها اقتحام مركز المدينة لأسباب اجتماعية واقتصادية وحضارية ،ويجذبها في ذلك أكثر النعرة العشائرية المتمثلة بأقارب لهم ساكنين في منطقة الأطراف الحضرية.

أما العامل الثاني فيتمثل بانتقال المؤسسات الصناعية والتجارية نحو الأطراف بفعل عامل الطرد من المركز لمساوئ يتصف بها وتتعارض مع متطلبات الإنتاج مثل ارتفاع سعر الأرض وما يصاحبها من ارتفاع في مقدار الضرائب وضيق الشوارع في المنطقة الصناعية القديمة مما يجعلها غير مناسبة لوسائط النقل الحديثة ،والتغير في مقدار الارتباط بين المؤسسات الصناعية الموجودة في منطقة الأعمال المركزية .ثم أن بعض الصناعات ملوثة للبيئة مما يجعل أمر بقائها في وسط المدينة غير مرغوب فيه .وبالمقابل ،فان متطلبات الاستعمال

الصناعي تجد في الأطراف قوة جذب لها هي عكس ما موجود في المنطقة الحضرية من حيث سعة الأرض وتوفر الأيدي العاملة غير الماهرة وقلة الكثافات السكانية وتوفر خدمات النقل بشكل أفضل وأيسر وانخفاض الضرائب.

تركيب الأطراف الريفية – الحضرية

اختلف الباحثون في المعايير المستخدمة لتوضيح تركيب هذه المنطقة ،وذلك للتداخل المساحي بين عدة مفاهيم ومصطلحات .فهذا وسنك Wissink ميّز في دراسته للأطراف الحضرية المحيطة بالمدينة الأمريكية بين الأطراف والضواحي والضواحي الكاذبة والتوابع والتوابع الكاذبة والأطراف الداخلية والخارجية للمدينة .بينما فرّق اندروس بين الأطراف الحضرية والأطراف الريفية – الحضرية ،أما رينمان Reinemann فقد توصل إلى تجزئة منطقة الأطراف إلى نطاق ضواحي الأطراف ونطاق المناطق المتاخمة .

وعلى أساس ذلك تقسم منطقة الأطراف الريفية– الحضرية إلى الأنماط الآتية :

1–الضواحي Suburbs وتقسم إلى:

أ – ضواحي مخططة Suburbs planned.

ب– ضواحي غير مخططة The unplanned Suburbs .

2– الامتدادات الحضرية الشريطية .

3– الانتشار الحضري المتناثر على صفحة الإقليم .

1–الضواحي : Suburbs

تعرف الضاحية بأنها عبارة عن نواة حضرية ذات موقع خاص تقع خارج المدينة المركزية على مسافة يسهل الوصول إليها مع بقائها تعتمد عليها في التموينات الضرورية من سلع وخدمات .وهي بالتالي ترتبط مع المدينة اقتصاديا واجتماعيا ونفسيا .

وتعرف أيضا بأنها منطقة انتقالية بين الريف والحضر وتنفصل عن المدينة بنطاق غير معمور يتراوح اتساعه بين 15–30 كم .وقد يصل إلى 45 كم بحيث

يسّهل من عملية الرحلة اليومية فيما بينها وبين المدينة المركزية لاحظ الشكل (45).

نشأة الضاحية ونموها

بالرغم من أن تاريخ الضاحية يعود إلى زمن العصور الوسطى، إلا إن صفاتها أو توسعها كما هي في الوقت الحاضر قد حدث منذ الثورة الصناعية وتأثيرها ،إذ شهدت المدن نموا من المركز نحو الأطراف بعد إن زاد عدد سكانها ونمت مؤسساتها فنزعت نحو الأطراف ،وجاء نمو الضواحي بشكل تدريجي متسلسل وكالآتي :

1-التحول من الريف إلى المجتمع المدني .

2-التحول من المدن إلى المجتمع المترو بولوني .

3-التحول من المجتمعات المترو بولونية إلى الضواحي .

أما صفة التكوين فكانت منبثقة من صفة نمو المراكز الحضرية التي اتخذت اتجاهين ؛الأول عمودي يتركز في نواة المدينة عند منطقة الأعمال المركزية وما يجاورها،وافقي ينمو على حساب الأراضي الزراعية المحيطة بالمدينة .وتمثل الضواحي نموذجا للاتجاه الثاني في النمو .وهذا الاتجاه يعمل على إعادة توزيع سكان المدن بصيغة التوازن فيما بين المركز والإطراف .وقد سبقت الدول المتطورة صناعيا الدول النامية في هذا الأجراء ،ففي مدينتي نيويورك وبافلو كانت نسبة الزيادة السكانية في المناطق الحضرية خلال العقد الخامس تراوح بين 1.5- 1% بينما كانت نسبة الزيادة في حجم المراكز الحضرية 33%.

وسيطرت الضواحي على 45% من معدلات نمو المراكز الحضرية خلال المدة 1900- 1950 بينما على 61% من معدلات النمو في العقد الخامس من القرن العشرين وارتفعت إلى 80% في العقد السادس من القرن نفسه الأمر الذي رفع نسبة السكان المقيمين في مناطق الضواحي من 20% قبل 50 سنة إلى 50% في الوقت الحاضر .

أن زيادة نسبة نمو المدن وبشكل لا ينسجم مع تصاميمها الأساسية أدى إلى نزوح أعداد كبير من سكانها للسكن في الضواحي وسواء كان هذا النزوح إراديا أم قسريا بسبب ضيق العيش في مدن مكتظة وكثيفة وصاخبة ،فانه في كل الأحوال يؤدي إلى نمو الضواحي .إلا أن هذه الظاهرة تعد حديثة على مدننا العربية إذ أنها بدأت في ستينات القرن العشرين في اغلب المدن العربية المتوسطة الحجم والكبيرة .أما المدن الصغيرة فلا زالت لم تظهر فيها الضواحي بعد.

وتتميز الضواحي في المدن العربية باختلافها عن ضواحي المدن الصناعية في الدول المتقدمة من حيث نمط البناء والخدمات واستعمالات الأرض والمستوى الحضاري للسكان .فسكانها اغلبهم من ذوي الدخل المحدود وخدماتها غير متكاملة وشوارعها مهملة واستعمالات الأرض فيها مرتبكة ، كما أنها تفتقر إلى المناطق الخضراء والترفيهية .

وفي كل الأحوال ، فان للضواحي أهمية كبيرة في التخفيف من حدة الزيادة السكانية في المراكز الحضرية ، بما توفره من حرية الانتقال لمن ضاق به الحال في المدن،وإذا لم يكن ثمة شيء آخر عدا ذلك فان الضاحية كانت احتجاجا على حتمية المحتوم وكأنها قدرا مقدرا لمن لا حدود لقدرته!.

أنواع الضواحي Types suburbs

تصنف الضواحي حسب المعايير المتبعة في التصنيف .فمن الباحثين من صنّفها على أساس موقعها كنطاق يحيط بمنطقة الأطراف الحضرية ،فيما توصل آخرون إلى تصنيفها تبعا لمعياري العمر والحجم ، فالضواحي الكبيرة الحجم والقديمة تكون عادة ضواحي صناعية ،بينما الضواحي الصغيرة الحجم والحديثة ذات وظيفة سكنية.

أما الكّتاب الغربيون فيميلون إلى تمييز الضواحي الأمريكية والانكليزية تبعا لدرجة التخصص فيها ومستوى دخل الفرد ،ومقدار التركز الحرفي فيها مثل دراسات ماير وسكوت L.A.Mayer and scott وأهمل الباحثان جانبا من الفعاليات

السائدة في بعض الضواحي وهي الفعالية الزراعية حيث اعتبروها فعالية ثانوية تضاف إلى الفعاليات الصناعية والسكنية.

وعلى الرغم من تباين الضواحي في تخصصها وما يتبعه من اختلاف في أصنافها ،فان هناك نوعين مهمين يطغيان على أنواع الضواحي السائدة في أطراف المدن وهما :**الضاحية السكنية والضاحية الصناعية**. فمن مجموع 325 ضاحية درست في الولايات المتحدة الأمريكية كان هناك 174 ضاحية سكنية و149 ضاحية صناعية. بينما توزعت الضواحي الأخرى على الأنشطة الأخرى.

كما يمكن تمييز عدد من الضواحي الإقليمية في درجات متباينة مع ارتباطها بالوظائف الآتية :

أ- ضواحي خاصة بتجهيز المنتجات الزراعية الطازجة إلى المدينة وهي مجموعات من استيطان العمال .

ب- أماكن مقسمة إلى قطع وبيوت صيفية .

ت- ضواحي الاستحمام أو المخصصة للوظيفة الترفيهية.

ث- الضواحي التعدينية وهي التي تخص مناطق تعدين عدد من المعادن منها الفحم والحديد والنفط .

2- الامتدادات الحضرية الشريطية

تمتد الاستعمالات الحضرية على طول خطوط النقل الرئيسة مستثمرة الأراضي المحيطة بها ، للاستفادة من خدماتها في ربط هذه الامتدادات بالمدينة المركزية .حيث تستثمر الاستعمالات التجارية والصناعية والسكنية كل حسب الموضع الذي يتناسب مع متطلبات الاستعمال .وتأخذ هذه الاستثمارات ثلاثة إشكال هي:

أ- امتداد شريطي ضيق يحيط بخط النقل محصورا بين الضواحي والمدينة المركزية.

ب- امتدادات شريطية مطلقة متطاولة مع خطوط النقل باتجاه الأطراف الريفية وتستثمر جانبي الشارع .

ت-- امتدادات شريطية تستثمر جانبا واحدا وجانبي الخط ولكن بشكل غير متصل وإنما على شكل نويات حضرية أو عقد حضرية جديدة تتوزع على جانبي الشارع مع استطالات بسيطة عن الشارع .

3- الانتشار الحضري على صفحة الإقليم

تتناثر استعمالات الأرض الحضرية في هذا النوع هنا وهناك ضمن منطقة إقليمية زراعية أو خالية ، ويشمل ذلك الاستعمال السكني إلى جانب الاستعمالات الأخرى الصناعية والترفيهية والخدمية . ويبدو أن الطابع الريفي ضمن هذا النمط الاستثماري لا زال أكثر وضوحا وسيطرة من النمط الاستثماري الحضري، ويتخذ هذا النمط الاستثماري الصيغ الآتية :

أ- انتشار حضري في حواف المدينة القديمة على حساب الأراضي الشاغرة المحيطة بها .

ب-انتشار حضري حول تركزات الضواحي والنوى الحضرية الجديدة .

ت- انتشار حضري حول الاستعمالات الحضرية الشريطية المحيطة بالطرق الرئيسة الخارجة من المدينة .

وتتحكم بهذه الأنماط معايير الاتجاه الحضري المخطط ،ورخص الأرض ومقدار ما يتوفر من خدمات ،ونوعية الاستثمار القديم الذي يؤثر في مقدار الجذب الحضري لمستويات معينة من الدخول في استثمار مناطق الجوار.